العربي والعالم الاسلامي اليك وانت مضطلع بعبء هذا المشروع الذي كان يقوم به الخلفاء والملوك على ممر العصور ، فجئت انت من هذا العصر ونهضت به وحدك ، فردا من المسلمين ، ولكنه فرد أوتي من صدق العزم والايمان ما جعله قرة عين هذا الزمان . ولما دعوت البلاد المجاورة والبلاد العربية الاخرى ، وفي مقدمتها مصر ، سنة ١٩٢٩ للاحتفاء بانجاز المشروع واتمام كل أجزائه ، بقيت فلسطين ، وخاصة بيت المقدس ، أسبوعا في أزهى مهرجان ، والحرم تتهادى فيه الوفود والجموع والخلائق تظهر أفراحها اذ ترى الاقصى الذي بارك الله حوله ، يتجلى هيبة ورونقا ، الى قداسة مـــا بعدها قداسة الا في الحرمين الشريفين .

( ٤ ) ألم تنظر حواليك مادا ببصرك الى المستقبل ، فرأيت ان الجيـــل الصاعد ، المتصدي لخدمة الاسلام وشريعته ، يحتاج الى كلية اسلامية تخرج الشباب الصحيح تخريجا صحيحا ، فانشأت « الكلية الاسلامية » بجوار الحرم ، وانتدبت خيرة المربين لادارتها فبقيت الى يوم فراقك فلسطين ١٩٣٧ وهي تقوم برسالتها ؟

( ٥ ) ألم تشفق من نظرتك هذه ، نظرة أخرى ، والغايتان في التالي تلتقيان ، فجعلت ترسل البعثات العلمية الى الازهر والمعاهد الاخرى كالقضاء الشرعي وغيره ، حتى اذا عاد شباب هذه البعثات بشهاداتهم تولوا المناصب الشرعية في فلسطين ، فيعلو مستوى القضاء وتزدهر ثقافته ويغزر معينه ؟

( ٦ ) ألم تنظر فترى أن التعليم العصري غير الشرعي ، يحتـــاج الى معاهد نقية البرنامج ، سديدة الغاية ، فشددت ازر معهدين في فلسطـــين ، هما « كلية روضـــة المعارف » في القدس و « معهد مدرسة النجاح » في نابلس ، وعبأتهما بأكفأ المربين ، فكان المتخرجون من هذين المعهدين طلائع حماة الوطن ، على هداك يتأثرون خطاك ، وكان من هذه الطلائع شهداء في سبيل الوطن ، وعلماء راسخون يقومـــون برسالة التهذيب والتعليم .

( ٧ ) فلما جاء بلفور الى فلسطين سنة ١٩٢٥ ليحضر افتتاح الجامعة العبرية التي على الطور المطل على الاقصى وبيت المقدس ، وطلب المندوب السامي هربرت صموئيل منك أن بلفور يريد أن يزور الحرم الشريف ، فلم تستجب الى هذا الطلب ، واقفلت أبواب الحرم وقلت للحراس لا تفتحوها لبلفور واذا استعملوا القوة فاستعملوا القوة ، فجاء بلفور والمندوب السامي فوجدا الابواب مقفلة فعادا من حيث أتيا ولا بخفي حنين . وبلفور هذا لما أقفلت الابواب في وجهه انتشر خبره في العالم العربي بسرعة البرق ، فلما عاد من هنا بطريق دمشق ونزل في « فندق خوام » هاجت دمشق وأحرقت الفندق ، وهي غاضبة منادية بسقوطه ، فخاف عليه الفرنسيون فأخرجوه من الباب الخلفي وأركبوه سيارة مخفورة الى بيروت .

( ٨ ) ألم تكن للثورة السورية التي اقتدح نارها سلطان الاطرش سنة ١٩٢٥ سندا وعونا ، تؤازر بحكمتك صديقك رشيد طليع الذي جاء من مصر وأقام في القدس ليكون على مقربة من ميادين الثورة ، ألم تؤلف لجنة سميتها « اللجنة المركزية لاعانة منكوبي سوريا » ودعوت الجاليات العربية في المهاجر للتبرع ، وصارت الاعانات تأتي اليك والى طليع ، ثم ترسل الاعانات الى سلطان الاطرش عن طريق الاردن ، اذ لا طريق بين سوريا وجبل العرب الا الطريق العسكرية ، ولولا عملك هذا لوقعت الثورة في ضيق . ثم بقيت على سننك هذه في شد ازر المجاهدين ، بعد أن انتقلوا نازحين الى « وادي السرحان » من أملاك الملك عبد العزيز آل سعود ، ثم صار لهم في الصحراء اطفال ـــ سموا « غزلان الصحراء » ـــ فرحت تعين هؤلاء الغزلان وتخصص لهم من جهودك القسم الكبير . فأي دلك على الثورة السورية أيها الرائد الثائر .